

التسرب المدرسي بين الانعكاسات والأدوار العلاجية للفاعلين للحد من الظاهرة

أ. بوخاري فتحي، جامعة حمة لخضر، الوادي - الجزائر
أ. بن بريدي سعاد، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر

المُلخَص:

تُعَدُّ ظاهرة التسرب المدرسي من المشكلات المدرسية التي تعاني منها جميع بلدان العالم، حيث لا يخلو واقعا تربويا من هذه الظاهرة، فهي تتفاوت في درجة حدّتها من مجتمع إلى آخر، ومن مرحلة دراسية إلى أخرى، فهي مشكلة من المشكلات التي تُعَدُّ هدرا للطاقات البشرية والمادية. فغياب التلاميذ بعذر مقبول أو غير مقبول يُؤدّي إلى تأخيرهم الدراسي ورسوبهم وانحرافهم، ولها انعكاسات خطيرة وعديدة وعلى كافة النواحي "تربويا، اجتماعيا، نفسيا، اقتصاديا، سياسيا...". ولهذا فهذه الظاهرة تحتاج إلى يقظة وإنتباه ومتابعة من كل الأطراف الفاعلة والمحيطية بالمدرسة والتلميذ، من إدارة المدرسة والمعلم والأسرة والإعلام بكل وسائله وأشكاله، وحتى الوزارة الوصية والدولة. كما يُعتبر التسرب إهدارا تربويا هائلا، وضياعا لثروات المجتمع المادية والمعنوية، وتخلُفًا ثقافيا لدى شريحة من المجتمع، قد تَبَلُّ أو تَتَسَعِّ وفقا لطبيعة ومكونات المجتمع الثقافية. ولهذا فإنَّنا سَنُحَاوِلُ في هذه الورقة البحثية التكلّم عن هذه الظاهرة "التسرب المدرسي"، وعن انعكاساتها المُتَعَدِّدة على كافة المجالات، وعن أدوار الأطراف الفاعلين في علاجها.

الكلمات المفتاحية: التسرب، التسرب المدرسي، الانعكاسات، العلاج.

School dropout between the repercussions and the therapeutic roles of actors to reduce the phenomenon

-Abstract:

The school dropout phenomenon is considered one of the school problems that all countries of the world suffer from, as it is not without an educational reality of this phenomenon, it varies in the degree of its severity from one society to another, from one study stage to another, it is a problem that is a waste of human and material.

The absence of students with an acceptable or unacceptable excuse leads to their academic delay, failure, and deviation, and they have many serious repercussions and in all respects "educationally, socially, psychologically, economically, politically ..."

That is why this phenomenon requires vigilance, attention, and follow-up from all the actors and surrounding the school and the student, from the administration of the school, the teacher, the family, and the media in all its means and forms, and even to the tutoring ministry and the state.

The dropout is also considered an enormous educational waste, a loss of material and moral society's wealth, and a cultural backwardness in a segment of society, which may be reduced or expanded according to the nature and components of the cultural community. For this reason, we will try in this research paper to talk about this

phenomenon, "school dropout", and its multiple implications in all fields, and the roles of the actors involved in treating it.

Key words: dropout, school dropout, implications, treatment.

- مقدمة:

يُعتبر قطاع التعليم واحدًا من أهم القطاعات في المجتمع، حيث تُولي الدولة لهذا القطاع اهتمامًا خاصًا، إذ أنه يُمثّل الاستثمار الحقيقي في مستقبل الشعوب. فتسرب بعض التلاميذ من التعليم يُعدّ مشكلة كبيرة، بل ومن أخطر الآفات التي تواجه العملية التعليمية، لكونها إهدارًا تربويًا لا يقتصر أثره على التلميذ فقط، بل يتعدّى ذلك إلى جميع نواحي المجتمع.

وتُعدّ ظاهرة التسرب المدرسي من المشكلات المدرسية التي تُعاني منها جميع بلدان العالم، وهي تتفاوت في درجة حدّتها من مجتمع إلى آخر، ومن مرحلة دراسية إلى أخرى. فغياب التلاميذ بعذر مقبول أو غير مقبول يؤدي إلى تأخيرهم الدراسي ورسوبهم وانحرافهم، ولها انعكاسات خطيرة وعديدة على كافة النواحي " نفسيا، اجتماعيا، تربويا، اقتصاديا، سياسيا..."

ولهذا فهذه الظاهرة تحتاج إلى يقظة وإنّباه ومتابعة من كل الأطراف الفاعلة والمحيطّة بالتلميذ المعرّض للتسرب المدرسي، من إدارة المدرسة والمعلّم والأسرة والإعلام بكل وسائله وأشكاله، وحتى الوزارة الوصية والدولة.

ويعتبر التسرب إهدار تربوي هائل، وضياح لثروات المجتمع المادية والمعنوية، وتخلّف ثقافي لدى شريحة من المجتمع، فقد نَقِلْ أو تَنَسَّخْ وفقا لطبيعة ومكوّنات المجتمع الثقافية.

1- تعريف التسرب المدرسي:

- **التسرب لغة:** من الفعل سرب، وكانت العرب تقول: سربت الإبل تسربا، وسرب الفحل سروبًا، أي مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت، والسارب الذاهب على وجهه في الأرض، وسرب في حاجته: ذهب فيها نهارا.¹⁵ ويقال تسرب الماء بمعنى انتشر أو سال أو رشح أو تغلغل أو بمعنى إنساب، وتسربت الأخبار بمعنى أشاعت، وتسرب بعض التلاميذ من مدارسهم بمعنى تغلّطوا منها وهربوا.¹⁵

أما **التسرب المدرسي** فقد تعدّدت واختلفت مفاهيمه باختلاف المجتمعات، وذلك تبعًا للقوانين والسياسات والأنظمة التعليمية السائدة في كل بلد، حيث وردت تعاريف كثيرة للتسرب المدرسي من منظمات وباحثين وعلماء، نذكر من هذه التعريفات ما يلي:

- تعاريف المنظمات والهيئات:

- تعريف منظمة اليونسيف عام 1992: التسرب هو عدم إلحاق الأطفال الذين هم بعمر التعليم بالمدرسة، أو تركها دون إكمال المرحلة التعليمية التي يدرس بها بنجاح، سواء كان ذلك برغبتهم، أو نتيجة لعوامل أخرى، وكذلك عدم المواظبة على الدوام لعام أو أكثر.¹⁵

- تعريف منظمة اليونسكو: التسرب يخص التلاميذ الذين لا ينهون دراستهم في عدد السنوات المحددة لها، إمّا لأنهم ينقطعون نهائيا أو لكونهم يُعيدون السنة أو سنوات معيّنة.

- تعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: التسرب هو ترك التلميذ للدراسة في إحدى مراحلها المختلفة لأيّ سبب من الأسباب قبل نهاية المرحلة التعليمية، ممّا يُسبّب إهدارًا لطاقت المجتمع المستقبلية.¹⁵

- تعريف العلماء والباحثين:

التسرب المدرسي هو ترك التلميذ للمدرسة قبل نهاية السنة الأخيرة من المرحلة الدراسية التي سجلوا فيها، ويُعتبر إهدارا لأن التلميذ الذي يترك الدراسة قبل نهاية المرحلة الدراسية لم يبلغ الأهداف المحددة لهذه المرحلة.¹⁵ وقيل أنه ترك الطالب للدراسة خلال سنوات تعلمه، طبعاً هذا لا يشمل الوفاة أو إنهاء الدراسة والتخرج. وتُحسب نسبة التسرب بشكل عام بناء على عدد المسجلين لصف ما في سنة معينة، وعدد الطلبة الذين أنهوا تلك السنة من دون أن يتركوا مدارسهم.¹⁵

كما يعتبر التسرب تعمّد الطالب بالخروج من المدرسة أو الهروب من الحصص الدراسية سواء بالخروج من الفصل أو بالبقاء في محيط المدرسة أو بالهروب منها، وقد تعود إلى عوامل ذاتية لدى الطالب أو عوامل بيئية تتعلق بالمدرسة أو بالبيئة الاجتماعية.¹⁵

ويُعتبر أيضاً انقطاع التلميذ عن الدراسة كلياً قبل إتمام المرحلة الدراسية، أو ترك المدرسة قبل إنهاء مرحلة معينة من التعليم، أي ترك التلميذ المدرسة قبل إتمام مرحلة معينة من مراحل التّدرّس لأسباب خاصة أو قاهرة.¹⁵ وقد أشار السعود والضامن 1990 إلى أنّ التسرب هو انقطاع التلميذ عن المدرسة انقطاعاً تاماً، وتركه لها بعد أن يلتحق بها، سواء حدث هذا الانقطاع بعد الالتحاق مباشرة أو في أيّ صف من صفوف الدراسة قبل استكمال الفترة المقرّرة للمرحلة التعليمية التي سجّل فيها.¹⁵

بنيماً أشار نصر الله 2010 إلى مفهوم التسرب على أنّه ترك المراهقين والأطفال للمدرسة، أو انقطاعهم عنها لعدة فترات طويلة، أو بصورة نهائية قبل وصولهم إلى نهاية المرحلة التعليمية التي يتواجدون فيها.¹⁵ وقال عدوان 1996 بأنّه: عدم الالتحاق بالمدرسة لمن هم في سن الدراسة، أو الانقطاع عن الدراسة، وعدم إنهاء المرحلة التعليمية التي التحق بها الطالب، بغض النظر عن الأسباب ما عدا الموت.

كما عرّفه الحقيّل بأنّه: انقطاع التلميذ عن المدرسة انقطاعاً كلياً.¹⁵

أمّا في بلادنا الجزائر، فإننا نُميز بين ثلاث فئات:¹⁵

- الفئة الأولى: وهم أولئك الذين تخلّوا عن دراستهم بمحض إرادتهم قبل بلوغهم السن الإلزامي (16 سنة)
 - الفئة الثانية: وهم أولئك المرغمون على مغادرة مقاعد الدراسة، بعد بلوغهم سن 16 سنة فأكثر بسبب نتائجهم الدراسية، حيث يتم إقصاؤهم من المدرسة.¹⁵
 - الفئة الثالثة: هي تخصّ مختلف المستويات لأولئك الذين ينقطعون عن الدراسة لأسباب مادية في أغلب الأحيان، لأنهم ينتمون إلى أوساط اجتماعية معوزة، حتّى وإن كانت نتائجهم الدراسية مقبولة.¹⁵
- ومن خلال جُملة التعاريف السابقة، يُمكن القول أنّ التلميذ بعدم التحاقه بالمدرسة سيُكون أمياً، وسيُكلف الدولة أكثر، بالإضافة لكونه عنصر غير فعّال قياساً بالمتعلم.

ويمكننا القول أنّ التسرب المدرسي هو ترك الفرد المدرسة في أي مرحلة من المراحل التعليمية، والانقطاع التام عن المدرسة لأسباب غير التخرج بنجاح، أو الانتقال إلى مدرسة أخرى، وقد تكون أسباب شخصية للتسرب نفسه، أو لأسباب أسرية أو مدرسية أو مجتمعية أو لأسباب تربوية محيطة به.

2- أشكال التسرب المدرسي:

التسرب نوعان: تسرب معنوي وتسرب مادي، فالتسرب المعنوي يتمثل في الحالة النفسية التي يشعر بها التلميذ قبل تسربه وما يصاحب ذلك من ضيق وحزن مما يدفعه إلى الهروب عن الدراسة. أمّا التسرب المادي يتمثل في الضعف المادي الذي ينتاب التلميذ والقهر الاقتصادي الذي يحول بينه وبين التعليم، نتيجة لذلك ينضم إلى صفوف الأميين، أيّ أنّه يتسرب بسبب ظروفه الإقتصادية. التسرب يؤدي إلى زيادة تكلفة التعليم ويزيد من مُعدّل البطالة وانتشار الجهل والفقر وغير ذلك من المشكلات الإجتماعية.¹⁵

وقد ميّزت إحدى الدراسات عام 1977 شكلين من التسرب وهُما:

- التسرب المؤقت: وهو الذي يحدث بشكل يومي مُتكرر ما يلبث إلى أن يتحول إلى انقطاع مستمر ينتج عن فصل التلميذ من المدرسة.

- التسرب الدائم: يعني هجرة التلميذ للمدرسة كليا.¹⁵

كما ميّز مصطفى منصوري ثلاث فئات من التسرب وهي:

- فئة مُجبّرة على التسرب: إنّ سبب تسربهم عن الدراسة خارج عن نطاقه كمرورهم بأزمات شخصية أو أسرية كالمرض.

- فئة المتسربين المعاقين: ويرجع هذا التسرب إلى ضعف قدراتهم العقلية (الضعف العقلي) والمعرفية على القيام بالأعمال المطلوبة

- فئة المتسربين الأكفاء: ترجع أسباب تسربهم عن المدرسة إلى عدّة أسباب منها: كثرة الغيابات، المشكلات السلوكية، بعد المدرسة ميولاتهم غير المدرسة، نقص الدافعية.¹⁵

فالتسرب المدرسي بأشكاله المختلفة قد يكون تخلياً عن مقاعد الدراسة لأسباب مختلفة، أو طردا من المؤسسة التعليمية ككل¹⁵، وأياً كان نوعه وشكله فهو يؤدي إلى انعكاسات عديدة وجب العمل على مُعالجتها.

3- انعكاسات التسرب المدرسي:

يعتبر التلاميذ أمل المستقبل، وعلى عاتقهم مسؤولية بناء المجتمع، لذا فإنّ تسرب بعضهم عن الدراسة يعتبر خسارة وإهدار تربوي، والذي ينعكس سلبا على الفرد والمجتمع، وعلى كافة الجوانب، ويمكن تلخيص أهم انعكاسات ظاهرة التسرب المدرسي فيما يلي:

3-1 الانعكاسات التربوية:

التسرب يؤدي إلى حدوث فاقد في التعليم يترتب عليه ارتفاع تكلفة التعليم بالنسبة للطالب أو الفصل أو المدرسة مع التأثير على كفاءة التعليم في الوقت نفسه.

إنّ ارتفاع نسبة التسرب في أي مرحلة من مراحل التعليم يترك لدى السلطات القائمة على العملية التعليمية والهيئات المسؤولة على توفير الخدمات التعليمية أثرا سيّئاً، ذلك أنّ الجهود التي بذلتها من أجل التعليم كانت فاشلة سواء في النظرة في مُحطّطاتها التربوية عوض العمل على ترقية النظام التعليمي.

كما تعمل على تخصيص مجهودات أكبر بهؤلاء المتسربين كتوفير مراكز التكوين المهني لضمان عدم انحرافهم، وبالتالي عدم اكتسابهم بعض المهن التي تجعل منهم عناصر فاعلة في المجتمع.¹⁵

فالتسرب المدرسي يمس مردود النظام التربوي في بعديه البيداغوجي والمالي بسبب المصاريف الضائعة، ولديه تأثير على التوقعات والتخطيطات فيما يتعلق بالتمدرس والاستثمارات، حيث يحدث اختلال في توازن النظام التعليمي بين مُدخلاته ومُخرجاته.¹⁵

ويذكر عبد القادر رمزي عن خطورة التسرب الدراسي: "إن كل حالة تسرب متوسطة الحدة تستلزم ثلاث أضعاف النفقات التي تتفق على حالة نجاح، فضلا عن أنها تحتاج إلى عشرة أضعاف الخدمات والرعاية النفسية والاجتماعية التي تقدم للمتعلم الناجح، علاوة على أنها تُسبب تراجعاً في قدرات المتعلم بحيث تتزايد حاجته للرعاية ومساعدته على تنمية قدراته وإعادته للحدود الطبيعية في فترة زمنية قد يصعب تحديدها، هذا وصف لحالة تسرب واحدة فماذا يكون عليه الحال إذا تعددت الحالات وأصبحت ظاهرة تتضاعف معها الأعباء".¹⁵

3-2 الانعكاسات الاجتماعية:

إن الضرر لا يعود على الطالب فحسب بل يتعداه إلى المجتمع عامة، ومن أبرز هذه المصائر:

- ازدياد عدد الأميين، خاصة إذا كان التسرب قبل إكمال المهارات الأساسية.
- أنه يتيح وقتاً طويلاً من الفراغ، وقد لا يُحسن الاستفادة منه إذا لم يتأهل لمزاولة مهنة ما.
- إن تسرب الطالب قبل أن يتم نضجهم وتكتمل خبرته يجعله أقل كفاية من العمل، وأقل إنتاجاً مما لو قدر أن يواصل دراسته، وفي هذا ضياع للطاقات البشرية في المجتمع.¹⁵
- ويؤكد هذا الكلام "بركان، 1998" بقوله أن التسرب ظاهرة اجتماعية وله أضرار كبيرة لا تعود على التلميذ فقط بل تشمل المجتمع، ومن هذه الانعكاسات ما يلي:¹⁵
- شعور التلميذ بالاعتقالات داخل المجتمع واحتقار النفس، فيحاول تبرير ذلك بالعوانية كالسرقة والإجرام والانحراف، مما يؤثر على أمن المجتمع واستقراره.
- انتشار شبكة البطالة بعدد كبير سنوياً ناتج هو الآخر عن سبب التسرب المدرسي لأن ذلك المتسرب في مستوى أقل كفاءة مهنية بحيث يعجز على إيجاد منصب شغل مناسب لمستواه خاصة إذا تم بتمهين حرفة تساعد على العمل.

كما أن المتسرب لا يمتلك إيمان المواطن الصالح في المجتمع، كما أنه أقل مستوى في السلوك والعمل المهني، وأقل قدرة على التكيف مع الظروف المحيطه به، ولا يستطيع الاشتراك بفاعلية في مجال التنمية الاجتماعية، كما يُعتبر أيضاً عامل من عوامل التفكك الداخلي، وهو يؤدي إلى تفكك الاقتصاد والوحدة الثقافية.¹⁵

وتتمثل الانعكاسات الاجتماعية عموماً في كون المتسرب لا يملك صفات المواطن الصالح على النحو الذي ينشده المجتمع، كما أن التسرب من الدراسة يُعوز الكثير من الخبرات وينقصه الإعداد الصحيح لمواجهة أمور الحياة ومتطلباتها. ومن هنا يمكن القول بأن المتسرب يكون أقل قدرة على المشاركة في بناء المجتمع من حوله، فيكون بذلك أقل قدرة على التكيف مع المجتمع، وعاملاً من عوامل التفكك الاجتماعي، أو بمعنى آخر زيادة حجم المشاكل الاجتماعية وانحراف الأحداث والجُوع وتعاطي المخدرات والسرقة، والاعتداء على الآخرين وممتلكاتهم. أي أن المتسربين يتحولون غالباً إلى أميين غير منتجين، ومنحرفين شواذ مفسدين مكونين لعصابات السطو والإجرام، والتي تزعزع أمن المجتمع، فهم يشكلون فئة أو جانباً ضعيفاً من جوانب بيئة المجتمع، علاوة على ما يفقده.¹⁵

كما أنَّ وجود التسرب في المجتمع يَشْكل عائقًا في إيجاد مُجْتَمَع مُتَجَانِس يَتَمَتَّع أفرادُه بقدر مقبول من أساسيات الثقافة والمعرفة، فوجود فئة المتسربين لا يساعد على إيجاد قدر من التفاهم والتعامل المشترك بين أفراد المجتمع ممَّا يؤدي إلى سير المجتمع نحو التخلف والتدهور.¹⁵

أمَّا "دريفوس 1990 Dryfoos" فقد أَوْضَح نتائج التسرب المدرسي من خلال اطلاعه على العديد من الدراسات الخاصة بالتسرب المدرسي وقَسَمَهَا إلى نتائج على المدى القصير وأخرى على المدى الطويل، فعلى المدى القصير تظهر البطالة الاكتئاب والجروح، أمَّا على المستوى الطويل فنجد التبعية الإجتماعية والحسرة، اضطراب الصحة الجسدية والنفسية، الجريمة والتعرض للسجن.¹⁵

ويؤدي التسرب إلى تفشي ظاهرة تعاطي المخدرات بين أفراد هذه الفئة، وهذا ما أثبتته بعض الدراسات مثل: دراسة "صالح السعد 1999"، ودراسة "قماز فريدة 2009".¹⁵

كما يُشْكلُ أيضا حالة اجتماعيه غير متزنة، حيث يؤدي إلى تكوين أفراد منحرفين نتيجة مُصاحبتهم لرفقاء السوء، ممَّا يؤدي إلى زيادة نسبة الجريمة وزعزعة أمن الدولة.¹⁵

وهو ما أشارت إليه دراسة "لوفين 1972 Levin" بالولايات المتحدة الأمريكية أنَّ من آثار التسرب على المجتمع زيادة الجريمة.

كما أشارت العديد من الدراسات من بينها: دراسة "بوتي 2003 Bautier"، و"دراسة التل 1991"، ودراسة "مزاب ناصر 2008"، أنَّ الكثير من المتسربين هؤلاء يقعون في جنح السرقة والاعتداءات على أملاك الدولة والأفراد.¹⁵ كما أنَّ المتسرب لا يحظى بأيّ تقدير من الآخرين، لأنَّ مجتمعنا يعطي قيمة ومكانة وأهمية خاصة للعلم لأنَّه بحاجة إلى الأفراد المتعلمين والمؤهلين علميا.¹⁵

3-3 الانعكاسات الاقتصادية:

يؤدي التسرب إلى تكوين طبقة من الأفيلد المحرومين من المهارات الأساسية، فلا يستفيد منهم المجتمع في جميع مجالات التطور الاقتصادي، بينما لو استقروا في دراستهم قد يكون منهم من لديه قدرات نافعة فيقدمون الخدمات التي تساعد على التطوير.

كما أنَّ العنصر الاقتصادي يساهم في تحريك عجلة التنمية، والأطفال المطرودون لا يستفيد منهم المجتمع لتنمية مجتمعاتهم عكس الطلبة الجامعيين، كما أنَّ تسرب أعداد كبيرة من التلاميذ قبل إنهاء مرحلة التعليم يجعل الكثير منهم ينزل إلى مستوى محو الأمية، ممَّا يجعل الدولة تخصص ميزانية إضافية لمحاربة الأمية لديهم¹⁵، كما قال عمر عبد الرحيم نصر الله أنَّ انعكاسات التسرب تتمثل في:

- التسرب رافد من روافد الأمية وتعطيل اليد العاملة
- زيادة وحدة التكلفة في التعميم، ويظهر ذلك في كفاءة التعليم وكذلك اختلال التوازن بين ميزانية التعليم والميزانية العامة للدولة، فالتسرب يمثل:
- حَظْرَ على حُطْط التنمية للموارد الاقتصادية من خلال منظور التعليم كثورة بشرية واستثمار مادي ونفقات العناية الصحية العلاجية.¹⁵

3-4 الانعكاسات النفسية:

غالبا ما نجد المتسرب يواجه مشاكل تكيفه بسبب انحصار علاقاته إلى درجة كبيرة بأبناء عمره، وذلك لشعوره بالقلق والاضطراب نتيجة نظريته لنفسه على أنه متخلف عنهم، وشعوره بأنه سبب في خلق معاناة أسرته وأنه هو أساس قلقها، وشعوره بالفشل من جراء إخفاقه، بالإضافة إلى النظرة السلبية من طرف المجتمع للطالب المتسرب.¹⁵ كما أن إخفاق الطالب يؤدي به إلى الخوف من العقاب والتوجيه إلى الأعمال غير العادية لكي يُعوض فشله الدراسي الذي وصل إليه، كما أن نظرة الأصدقاء والأقرباء إليه على أنه طالب فاشل يُشعره بالنقص وعدم القدرة على الاندماج في مجتمع الطلاب وفقدان الأصدقاء وعدم المشاركة في الأنشطة الاجتماعية.¹⁵ هذا ما يجعل الشخص المتسرب من التعلم يعاني من عدم الاستقرار النفسي فينتابه باستمرار شعور بالنقص والعجز والفشل والقلق وانعدام الثقة بالنفس والحساسية المفرطة من أي نقد، لأنه يعلم جيدا أن ضعف ثقافته يجرمه من التكيف مع الظروف المحيطة به.¹⁵

كما يؤدي التسرب إلى تدمير نفسية المتسرب وإضعاف طموحاته مما يؤدي إلى ضعف تقديره لذاته، الأمر الذي يجعل منه عرضة لاستغلاله من طرف الآخرين في الأعمال السلبية، فقد يلجأ إلى تعاطي المخدرات وتعلم السرقة والاعتداء على الآخرين.¹⁵

وعُموما للفشل في الدراسة ينعكس على الحالة النفسية للطفل، مما يجعله يدور في حلقة مفرغة من التوتر النفسي، وهو ما قد يدفع به إلى الفردية والإعتدائية بقصد التعويض عن عدم التوافق الذي يسود حياته الدراسية لأنّ الفشل في المعالم البارزة مرجعية لأكثر من سبب، منها ما يتعلق بالنقص العقلي عند البعض، ومنها ما يتعلق بعدم الرغبة وعدم التكيف مع المناهج الدراسية عند البعض الآخر، فكل هذه الأمور تؤثر على شخصية الطفل وتدفعه إلى الهروب من المدرسة، وهذا يؤدي إلى التسرب المدرسي أو الفشل الدراسي نتيجة الشعور بالنقص والتأخر عن بقية زملائه، وقد يرجع بسبب هذا الانعكاس النفسي إلى الظروف المحيطة بالتلميذ، وخاصة في الوسط الأسري بالمنزل.¹⁵

4- الأدوار العلاجية للفاعلين التربويين للحد من التسرب المدرسي:

4-1 دور المعلم العلاجي لظاهرة التسرب:

للمعلم دورا في علاج مشكلة التسرب، فمُعَاملة المعلم للتلاميذ وعلاقتهم به إذا قامت على أساس من الحب، والاحترام المتبادل، وعلى أساس علاقات أبوية تكون من عوامل جذب التلاميذ إلى البقاء في المدرسة وعدم تركها، وقد تقرض البيئة على المعلم أن يقوم بدور مزدوج يشمل دور المعلم ودور الأسرة.¹⁵ وحين يقدم المعلم والإدارة للمدرسية للتلاميذ الرعاية النفسية والاجتماعية والخلقية والجسمية، ويقدم لهم التوجيه والإرشاد، كل ذلك يشعرهم بأهمية المدرسة وجعل الأمر يدرك أثر ذلك فلا يجعل ابنه يتركها. ولا شك أن مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ، يسهل الاستمرار في عملية التعليم، وبالتالي إلى عدم ترك المدرسة. فهذا أحيانا قد يكون لعدم قدرة بعض التلاميذ على منافسة زملائهم أو لكثرة الواجبات المنزلية التي يعرضها المعلم على تلاميذه.¹⁵

كما أن المعلم يجب أن يستعمل في التدريس طرقا مرنة يتجاوب معها التلميذ التي تعتمد على الوسائل التعليمية المناسبة الدافعة إلى حب التعليم، وأيضاً إمام المعلم بمادته الإلمام الكافي وعرضها بشكل ملائم، يدفع التلميذ للاهتمام بالمادة وحبها لها.

إضافة لاستخدام المعلم أسلوب المكافئة والثناء على التلميذ النجباء، والأخذ بأيدي التلاميذ الضعفاء وحثهم على بذل مجهودات أكبر، ومحاولات أكثر للتغلب على الصعاب، وعدم محاولة إهانتهم والانتقاص من قيمتهم أمام زملائهم، هذا ما يؤدي إلى ثقتهم بأنفسهم وتقديرهم لذواتهم والتمسك بدراستهم.

4-2 دور الأسرة في علاج ظاهرة التسرب:

للأسرة دور كبير في بناء الفرد، فهي المجتمع الصغير الذي ينشأ فيه الطفل، ويتربى على قيمه، ويترعرع فيه ما يتعرض له من مشكلات لتكون آراء الأسرة واقتراحاتها وما تقوم به من خطوات بمثابة حلول لما يتعرض له الطفل من مشكلات، ومن هذه المشكلات مشكلة التسرب المدرسي، ويتجلى دور الأسرة في علاج مشكلة التسرب المدرسي في الحرص على ما يلي:

- تشجيع مظاهر الفرح والانشراح التي يشعر بها الطفل عند بدء الدراسة.
- تجنب إصدار الأحكام العاجلة وغير المدروسة عن المدرسة والمعلم أمام الطفل.
- تعزيز رغبة الطفل في إثبات الذات وتأكيد ذاتها وسط الآخرين.
- تشجيع الرغبة في الدخول في مجتمع جديد، والرغبة المستمرة بالوجود داخل الجماعة.
- تشجيع الرغبة في القراءة والكتابة بتوفير الوسائل والمعدات اللازمة لذلك.
- تنويع المطالعات في الكتب والمجلات وإشباع الفضول قبل فترة من بداية المدرسة.
- توثيق الصلة بين البيت والمدرسة.

4-3 دور وزارة التربية والنظام التربوي الجزائري في معالجة التسرب:

يُعَدُّ النظام التربوي واحداً من مجموعة أنظمة أخرى متكاملة، تُحدّد بتفاعلها خصائص المجتمع ولامحه، ولا يمكن النظر إلى هذا النظام التربوي وفهمه فهما واعيا إلا من خلال صلاته بالأنظمة الأخرى للمجتمع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وأن أية فلسفة تربوية لبلد من البلدان تستمد مقوماتها من واقع الحياة الاجتماعية لذلك البلد، ومن تطلعاته المستقبلية وتصورات له لنمط التربية التي تلائمها، ويطمح إليها. إن الحكم على مدى صلاح التربية يكمن في قدرتها على تلبية الحاجات الأساسية لذلك البلد وانسجاما مع مكتشفات العلم الحديث، لذلك فإن التقدم العلمي والتقني الذي يشهده المجتمع المعاصر يترافق بتغيير كبير في مفهوم التربية وأهدافها وطبيعة صلتها بمجالات نمو الإنسان واتجاهات تطور المجتمع وتقدمه. فلم تُعد مسؤولية التربية في عصرنا تقتصر على التأثير بحاجات التنمية المتعددة لهذا المجتمع، وإنما أصبح النظر إليها بوصفها خافزاً مثيراً لفعالياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية باتجاه تحسين واقعها وربطها بحاجات المستقبل ومشكلاته.

وكذلك فإن هدف التعليم لم يقتصر على تكوين نظم معرفية مجردة لدى الناشئة فحسب، وإنما أصبح يتجه نحو تكوين متوازن للفرد في مجتمعه، يُمكنه من استخدام معارفه في مواجهة ظواهر الحياة المتجددة والتكيف الإيجابي معها، وفهم بيئته، والإسهام في حمايتها واستثمار مواردها البشرية والطبيعية بأسلوب علمي. ومن هذا المنطلق إتجه القائمون على التربية في الجزائر لوضع استراتيجية لتطوير التربية تستند إلى مبادئ وأسس تترجم هذه المنطلقات ومنها:

- المبدأ الإنساني: الذي يؤكد مكانة الإنسان في نظام المجتمع، ويسعى إلى تمكينه من تطوير شخصيته والاعتماد على جهوده الذاتية في تطوير نفسه.
- المبدأ القومي: الذي يؤكد على الانتماء القومي وإعداد المواطن العربي الملتزم بأهداف أمته العامل على خيرها وتقدمها.
- المبدأ التنموي: الذي يؤكد العلاقات المتبادلة بين التربية وبين منظمات النشاط المجتمعي الأخرى من جهة، وبينها وبين التنمية ومطلباتها من جهة أخرى.
- المبدأ الديمقراطي: الذي يؤكد المساواة لجميع المواطنين في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص.
- فالساسة التربوية في الجزائر تركز على مجموعة من الأهداف تتسجم مع المنطلقات السابقة وتترجم أبرز مضامينها، ومن هذه الأهداف:
- تحقيق ديمقراطية التعليم.
- تطبيق إلزامية التعليم.
- العمل على محو الأمية.
- تطوير مضمون التربية وتحسين كفاياتها.
- ربط التربية بالتنمية الشاملة.
- وهذا يقتضي التوجه نحو تهيئة الفرص أمام الأطفال لاكتساب مستوى مقبول من المعارف والثقافة والمهارات الفكرية والعلمية.
- وهناك عدة أساليب انتبعتها وزارة التربية في معالجة مشكلة التسرب، حيث يتجلى دورها في المجتمع، في أنها هي ومؤسساتها أول من يتلقى الطفل بعد خروجه من الأسرة. ومن هنا جاءت أهمية إنفصال وزارة التربية عن التعليم العالي، وتكامل أهدافها في نفس الوقت، وذلك لكي تحظى وزارة التربية بمجال أوسع لحل المشكلات التي تتعرض لها مؤسساتها.
- وقد اتخذت وزارة التربية العديد من الخطوات لحل هذه المشكلة، ونذكر منها:
- أ- التوعية وتنبيه الأهل إلى أهمية المدرسة، وضرورة التحاق أولادهم بها ليتعلموا فيها القراءة والكتابة والحساب.
- ب- الملاحقة والمتابعة والاتصال بأولياء الأمور، لمعرفة سبب تخلفهم عن إرسال أولادهم إلى المدارس، ومعالجة تلك الأسباب مع المعنيين بالشكل المناسب.
- ج- اتخاذ بعض الإجراءات ذات الآثار المادية التي تساعد في جذب الأولاد إلى المدارس، وتعد أمل تشجيع لكثير من أولياء الأمور على إلحاق أولادهم بها، ومن هذه الإجراءات:
- توفير الكتب المدرسية: بمختلف أنواعها، وتوزيعها مجاناً على تلاميذ المرحلة الابتدائية.
- تقديم بعض المساعدات لذوي الحاجات من التلاميذ، والتي تقدمها الدولة للمعوزين حتى توفر لهم بعض مستلزمات الدراسة.
- التغذية المدرسية: تُعتبر من العوامل المهمة، والتي توفر للتلميذ قدر من التغذية المدرسية والصحية، خاصة للتلاميذ الذين يدرسون في المدارس النائية والبعيدة عن مقر سكناهم.

- الرعاية الصحية للتلاميذ: وتتوَلَّاهَا مديرية الصحة المدرسية، حيث أنَّ المهمة الأساسية التي تقع على عاتق الصحة المدرسية هي مهمة وقائية ذات امتداد علاجي محدود بحسب الآفات المرضية التي يعاني منها المجتمع المدرسي.

- النقل المدرسي: عملت الدولة جاهدة على توفير النقل المدرسي، والذي يُعتبر العَصَب الأساسي في عملية التعليم حتى تُسهَّل من عملية تنقُّل التلاميذ والطلبة نحو مُؤَسَّساتهم، وتسد كل الذرائع لعدم الالتحاق بالمدرسة.¹⁵

- خاتمة:

يظهر من خلال ما سبق أنَّ التسرب المدرسي هو انقطاع التلميذ عن الدراسة قبل إتمامه السنة الدراسية الحالية، وهو ظاهرة شائكة مُتَعَدِّدة العوامل والأسباب.

فقد أصبحت ظاهرة التسرب المدرسي من المشكلات الدراسية المثيرة للقلق لدى التربويين وعلماء النفس والاجتماع وغيرهم علماء التخصصات الأخرى ذات العلاقة بالموضوع، وكل الفاعلين في المجتمع، لِمَا لهذه الظاهرة من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، ولِمَا لها من انعكاسات على نفسية المتسرب، وعلى النظام التربوي، وعلى المجتمع ككل، وحتى على الاقتصاد العام للدولة.

وستبقى مشكلة التسرب المدرسي من المشكلات التي تفرز للمجتمع افرازات غير حميدة، لذلك لا بدَّ من البحث والغوص في جذور هذه المشكلة من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة للتقليل من نسب التسرب المدرسي، وذلك بمساهمة كل الأطراف الفاعلين في محيط التلميذ من دور للأسرة والمدرسة والدولة المُمَثَّلة في الوزارة الوصية، والاعلام بأشكاله المختلفة.

- الهوامش:

¹⁵ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، 1413هـ/1993م، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص590

¹⁵ - ابراهيم مصطفى وآخرون، 2010، المعجم الوسيط، ط1، مجمع القاهرة للغة العربية، ص454

¹⁵ - اليونسيف، 1992، تسرب الفتيات في المرحلة الابتدائية، دراسة ميدانية، سوريا، ص6

¹⁵ - الهيم، سعد بن محمد علي، 2010، الخصائص الاجتماعية للمتسربين دراسيا وعلاقتها بالتسرب المدرسي "دراسة اجتماعية لطلاب المرحلة الثانوية في محافظة حوطة بني تميم"، رسالة ماجستير منشورة في العلوم الاجتماعية، الرياض، السعودية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ص25

¹⁵ - الغامدي، فهد ابراهيم القاشي، 1997، الخدمات الارشادية وأثرها في الحد من ظاهرة التسرب المدرسي بالمرحلة المتوسطة بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم التربية، الجزائر، جامعة الجزائر، ص13

¹⁵ - مصطفى منصور، و ابراهيم الذهبي، 2014، دور الإدارة المدرسية في الحد من ظاهرة التسرب المدرسي، جامعة الوادي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ص134

¹⁵ - كريمة فلاح، 2014، مشكلات النظام التربوي في الجزائر، جامعة لمين دباغين، سطيف، ص70

¹⁵ - بركان محمد أرزقي، 1998، التسرب - عوامله، نتائجه، طرق علاجه - عروض الأيام الوطنية الثالثة لعلم النفس وعلوم التربية - علم النفس وقضايا المجتمع الحديث، الجزائر، منشورات جامعة الجزائر، ص30

¹⁵ - السعود والضامن متدر، 1990، الهدر التربوي في النظام التعليمي في الأردن، عمان، دراسة مقدمة إلى المؤتمر حول الاهدار التربوي واقتصاديات التعليم، ص80

¹⁵ - عمر عبد الرحيم نصر الله، 2010، تدني مستوى التحصيل الدراسي والانجاز المدرسي - أسبابه وعلاجه، ط2، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ص477

¹⁵ - حكيم عبد الحميد عبد المجيد عبد الحميد، 2007، ظاهرة التسرب الدراسي (العوامل والأسباب)، المملكة العربية السعودية، ص7

¹⁵ - سيبان فاطمة الزهراء ، 2016/2017، فاعلية برنامج إرشادي لتحسين الدافعية لتعلم لدى التلاميذ المعرضين للتسرب المدرسي "دراسة شبه تجريبية لدى تلاميذ السنة الرابعة متوسط بولاية مستغانم"، أطروحة دكتوراه في تخصص علم النفس، جامعة وهران ، ص02

¹⁵ - بلعنتر عائشة، وبوكرتوت حبيبة، 2001، التسرب المدرسي، سلسلة الملفات التربوية - موعذك التربوي -، الجزائر، المركز الوطني للوثائق التربوي، ص10

¹⁵ - وزارة التربية الوطنية، 2000، الجريدة الرسمية، ص4

¹⁵ - هيفاء طيفور، 1997، خطة علاجية للغياب المدرسي ومشكلاته، دار المعرفة، ص80.

- ¹⁵ - ربيع هدى شعبان، 1977، الارشاد التربوي، مبادئه، أدواره الرئيسية، ط1، عمان، الأردن، دار العلمية، ص193
- ¹⁵ - منصوري مصطفى، 2002، التأخر الدراسي وطرق علاجه، ط1، الجزائر، دار الغرب، ص52
- ¹⁵ - سيسبان فاطمة الزهراء، 2016/2017، مرجع سبق ذكره، ص31
- ¹⁵ - الغامدي، فهد ابراهيم القاشي، 1997، مرجع سبق ذكره، ص42
- ¹⁵ - العريزي، أحمد الرفاعي بهجت، 1996، ظاهرة التسرب المدرسي لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي - دراسة تحليلية للعوامل والأسباب - مصر، مجلة كلية التربية، ص10
- ¹⁵ - المهنا، ابراهيم عبد الكريم، 2001، عوامل التسرب المدرسي لدى المنحرفين، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، ص116، 117
- ¹⁵ - الدويك تيسير، 1998، الإدارة التربوية والمدرسية، دار الفكر، ص214
- ¹⁵ - بركان محمد أرزقي، 1998، مرجع سبق ذكره، ص16
- ¹⁵ - بركان محمد أرزقي، نفس المرجع، ص16
- ¹⁵ - عمر عبد الرحيم نصر الله، 2001، أساسيات في التربية العلمية، الأردن، دار وائل للطباعة والنشر، ص3
- ¹⁵ - أبو عسكر، محمد فؤاد سعيد، 2009، دور الإدارة المدرسية في مدارس بنات الثانوية في مواجهة ظاهرة التسرب الدراسي لمحافظات غزة وسبل تفعيله، رسالة ماجستير، فلسطين، الجامعة الإسلامية لغزة، ص66
- ¹⁵ - أمينة بوزيان، 2012/2013، واقع الصحة النفسية لدى المتسربين مدرسيًا، رسالة ماجستير تخصص الصحة النفسية والالتماس العلاجي، تلمسان، الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص33
- ¹⁵ - بوسنة محمود، ولخضر بغداد، 2011، التسرب المدرسي في التعلم الإلزامي بالجزائري: حجم المشكلة وطبيعة التحديات، جامعة الجزائر 02، مجلة أفكار وأفاق، ص48، 49
- ¹⁵ - نفاذ سيد أحمد، 2011، ظاهرة التسرب المدرسي في المؤسسة التربوية الجزائرية، الجزائر، مجلة الحكمة، ص20
- ¹⁵ - بوسنة محمود ولخضر بغداد، مرجع سبق ذكره، ص20
- ¹⁵ - نفاذ سيد أحمد، 2011، مرجع سبق ذكره، ص21
- ¹⁵ - بركان محمد أرزقي، 1998، مرجع سبق ذكره، ص16
- ¹⁵ - عمر عبد الرحيم نصر الله، 2001، مرجع سبق ذكره، ص382
- ¹⁵ - عمر عبد الرحيم نصر الله، نفس المرجع، ص382
- ¹⁵ - عمر عبد الرحيم نصر الله، نفس المرجع، ص385
- ¹⁵ - اليزار حكمت عبد الله بني جانيث، 2004، التسرب في التعليم، بغداد، دار الجاحظ للطباعة والنشر، ص50
- ¹⁵ - المهنا، ابراهيم عبد الكريم، 2001، عوامل التسرب المدرسي لدى المنحرفين، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، ص133، 134
- ¹⁵ - بركان محمد أرزقي، 1998، مرجع سبق ذكره، ص16
- ¹⁵ - العمارة محمد حسن، 2007، المشكلات الصفية، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص146
- ¹⁵ - المعاطة عبد العزيز، ومحمد الجعيان، 2006، مشكلات تربوية معاصرة، عمان، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص67
- ¹⁵ - رابح، بن عيسى، 2016، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي "دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة زريبة الوادي - بسكرة"، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، الوادي، ص148، 156.